١٧

لعزته واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون
الارباح في متجر عبادته ويبادرون عنده موعد مغفرته جعله سبحانه للاسلام علما وللعائذين حرما فرض حجه واوجب حقه وكتب
عليكم وفادته فقال سبحانه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين الشرح الوله
شدة الوجد حتى يكاد العقل يذهب وله الرجل يوله ولها ومن روى يالهون اليه ولوه الحمام فسره بشيء اخر وهو يعكفون عليه عكوف
الحمام واصل اله عبد ومنه الاله اى المعبود ولما كان العكوف على الشيء كالعبادة له بملازمته والانقطاع اليه قيل اله فلان الى كذا
اى عكف عليه كانه يعبده ولا يجوز ان يقال يالهون اليه في هذا الموضع بمعنى يولهون وان اصل الهمزة الواو كما فسره الراوندي لان
فعولا لا يجوز ان يكون مصدرا من فعلت بالكسر ولو كان يالهون هو يولهون لكان اصله الهو بالكسر فلم يجز ان يقول ولوه الحمام
فاما على ما فسرناه نحن فلا يمتنع ان يكون الولوه مصدرا لان اله مفتوح فصار كقولك دخل دخولا وباقي الفصل غني عن التفسير
جاء في الخبر الصحيح ان في السماء بيتا تطوف به الملائكة طواف البشر بهذا البيت اسمه الضراح وان هذا البيت تحته على خط مستقيم
انه المراد بقوله تعالى والبيت المعمور اقسم سبحانه به لشرفه ومنزلته عنده وفي الحديث ان ادم لما قضى مناسكه وطاف بالبيت لقيته
الملائكة فقالت يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام قال مجاهد ان الحاج اذا قدموا مكة استقبلتهم الملائكة فسلموا على
ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقا من سنة السلف ان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسألوهم
الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل ان يتدنسوا بالذنوب والاثام وفي الحديث ان الله تعالى قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة
ستمائة الف فان نقصوا اتمهم الله بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق باستارها يسعون
حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه اعظم الناس
ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله لا يغفر له عمر بن ذر الهمداني لما قضى مناسكه اسند ظهره الى الكعبة وقال مودعا للبيت ما زلنا
نحل اليك عروة ونشد اليك اخرى ونصعد لك اكمة ونهبط اخرى ونخفضنا ارض وترفعنا اخرى حتى اتيناك فليت شعري
بم يكون منصرفنا ابذنب مغفور فاعظم بها من نعمة ام بعمل مردود فاعظم بها من مصيبة فيا من له خرجنا واليه قصدنا ارحم
الحنا ارحم ملقى الوفد بفنائك فقد اتيناك بها معراة جلودها ذابلة اسنمتها نقبة اخفافها وان اعظم الرزية ان نرجع
وقد اكتنفتنا الخيبة اللهم وان للزائرين حقا فاجعل حقنا عليك غفران ذنوبنا فانك جواد ماجد لا ينقصك نائل ولا
يبخلك سائل قال ابن جريج ما ظننت ان الله ينفع احدا بشعر عمر بن ابي ربيعة حتى كنت باليمن فسمعت منشدا ينشد قوله بالله
قولا له في غير معتبة ماذا اردت بطول المكث في اليمن ان كنت حاولت دنيا او ظفرت بها فما اخذت بترك الحج من ثمن فحركني
ذلك على ترك اليمن والخروج الى مكة فخرجت فحججت سمع ابو حازم امراة حاجة ترفث في كلامها فقال يا امة الله الست حاجة الا
تتقين الله فسفرت عن وجه صبيح ثم قالت له انا من اللواتي قال فيهن عمر بن ابي ربيعة اماطت كساء الخز عن حر وجهها وادنت
على الخدين بردا مهلهلا من اللائي لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا فقال ابو حازم فانا اسال الله ان لا
يعذب هذا الوجه بالنار فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال رحم الله ابا حازم لو كان من عباد العراق لقال لها اعزبي يا عدوة
الله ولكنه ظرف نساك الحجاز واعلم ان قوما من ارباب علم البيان عابوا السجع وادخلوا خطب امير المؤمنين عم في جملة ما
عابوه لانه يقصد فيها السجع وقالوا ان الخطب الخالية من السجع والقرائن والفواصل هي خطب العرب وهي المستحسنة الخالية
من التكلف كخطبة النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع وهي الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله
من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحثكم على العمل بطاعته واستفتح بالله الذي هو خير اما بعد
ايها الناس اسمعوا مني ابين لكم فاني لا ادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا ايها الناس ان دماءكم واموالكم عليكم
حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا هل بلغت اللهم اشهد من كانت عنده امانة فليؤدها
الى من ائتمنه عليها وان ربا الجاهلية موضوع واول ربا ابدا به ربا العباس بن عبد المطلب وان دماء الجاهلية موضوعة واول
دم ابدا به دم عامر بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه

العمد ما قتل بالعصا والحجر فيه مائة بعير فمن ازداد فهو من الجاهلية ايها الناس ان الشيطان قد يئس ان يعبد بارضكم هذه
ولكنه قد رضي ان يطاع فيما سوى ذلك فيما تحقرون من اعمالكم ايها الناس انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة
ومحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان الا هل بلغت ايها الناس ان لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حقا فعليهن ان لا
يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن بيوتكم احدا تكرهونه الا باذنكم ولا ياتين بفاحشة فان فعلن فقد اذن لكم ان تهجروهن
في المضاجع وتضربوهن فان انتهين واطعنكم فعليكم كسوتهن ورزقهن بالمعروف فانما النساء عندكم عوان لا يملكن
لانفسهن شيئا اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا
ايها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرء مال اخيه الا على طيب نفس الا هل بلغت اللهم اشهد الا لا ترجعن بعدي كفارا
يضرب بعضكم رقاب بعض فاني قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لم تضلوا كتاب الله ربكم الا هل بلغت ايها الناس ان ربكم
واحد وان اباكم واحد كلكم لادم وادم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقيكم وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى الا فليبلغ
الشاهد الغائب ايها الناس ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز وصية في اكثر من الثلث والولد
للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه فهو ملعون لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا والسلام عليكم ورحمة الله
واعلم ان السجع لو كان عيبا لكان كلام الله كله معيبا لانه مسجوع كله ذو فواصل وقرائن ويكفي هذا القدر وحده مبطلا لمذهب
هؤلاء فاما خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله هذه فانها وان لم تكن ذات سجع فان اكثر خطبه مسجوع كقوله ان مع العز ذلا و
ان مع الحياة موتا وان مع الدنيا اخرة وان لكل شيء حسابا ولكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا وان على كل شيء رقيبا وانه
لا بد لك من قرين يدفن معك وهو حي وانت ميت فان كان كريما اكرمك وان كان لئيما اسلمك ثم لا يحشر الا معك ولا تبعث
الا معه ولا تسال الا عنه فلا تجعله الا صالحا فانه ان صلح انست به وان فسد لم تستوحش الا منه وهو عملك فاكثر هذا الكلام
مسجوع كما تراه وكذلك خطبه الطوال كلها واما الكلام القصير فانه غير مسجوع لانه لا يحتمل السجع وكذلك القصير من كلام امير المؤمنين
عم فاما قولهم ان السجع يدل على التكلف فان المذموم هو التكلف الذي تظهر سماجته وثقله للسامعين فاما التكلف المستحسن
فاي عيب فيه الا ترى ان الشعر نفسه لا بد فيه من تكلف اقامة الوزن وليس لطاعن ان يطعن فيه بذلك واحتج عائبو السجع بقوله
عم لبعضهم منكرا عليه اسجعا كسجع الكهان ولولا ان السجع منكر لما انكره عم فيقال لهم انما انكر عم السجع الذي يسجع الكهان امثاله
لا السجع على الاطلاق وصورة الواقعة انه عم في ام الجنين بغرة فقال قائل اندي من لا شرب ولا اكل ولا نطق ولا استهل ومثل هذا
يطل فانكر عم ذلك لان الكهان كانوا يحكمون في الجاهلية بالفاظ مسجوعة كقولهم حبة بر في احليل مهر وقولهم عبد المسيح على جمل
مشيح لرؤيا الموبذان وارتجاس الايوان ونحو ذلك من كلامهم وكان عم قد ابطل الكهانة والتنجيم والسحر ونهى عنها فلما سمع كلام ذلك
القائل اعاد الانكار ومراده به تاكيد تحريم العمل على اقوال الكهنة ولو كان عم قد انكر السجع لما قاله وقد بينا ان كثيرا من كلامه مسجوع
وذكرنا خطبته ومن كلامه عم المسجوع خبر ابن مسعود رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله استحيوا من الله حق الحياء
فقلنا انا لنستحيي يا رسول الله من الله فقال ليس ذلك ما امرتكم به وانما الاستحياء من الله ان تحفظ الراس وما وعى والبطن
وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن اراد الاخرة ترك زينة الحيوة الدنيا ومن ذلك كلامه المشهور لما قدم المدينة عم اول قدومه
اليها ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وعوذ الحسن عم فقال
اعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة وانما اراد ملمة فقال لامة لاجل السجع وكذلك قوله ارجعن مازورات غير ماجورات
وانما هو موزورات بالواو والاصل ومن خطبة له عم بعد انصرافه من صفين الشرح صفين اسم الارض التي كانت فيها الحرب والنون فيها
اصلية ذكر ذلك صاحب الصحاح فوزنها على هذا فعيل كفسيق وخمير وصريع وظليم وضليل فان قيل فاشتقاقه مماذا يكون قيل
لو كان اسما للحيوان لامكن ان يكون من صفن الفرس اذا قام على ثلث واقام الرابعة على طرف الحافر يصفن بالكسر صفونا او من
صفون القوم اذا اصفوا اقدامهم لا يخرج بعضها عن بعض فان قيل ايمكن ان يشتق من ذلك وهو اسم ارض قيل يمكن على تعسف وهو ان

تحمّم

خطبة النبي في حجة الوداع

ماجورات غير مازورات

Copyright ... University